

وعطاء^(١) وأبي الحمراء^(٢) أو وائلة بن الأسقع^(٣) وسعد^(٤) وجعفر بن أبي طالب عليه السلام^(٥) وأبي برزة^(٦)

= أسد الغابة (٥ : ٥٢١) والذهبي في تاريخ الإسلام ٩ : ٩٧ وابن شاهين في فضائل سيدة النساء والصفوري في المحاسن المجتمعة ١٨٩ والهندي في المنتخب ٥ : ٩٦ وابن كثير في التفسير والسماعي في الرسالة القوامية والسيد محمد صديق في فتح البيان ٧ : ٢٧٧ والناقلي في ذخائر الموارث ١ : ٣٨ والمالكي في مشارق الأنوار ١١٣ والنجار في الأشراف ٩ وابن البديع في تيسير الوصول ١٦٠ والبديع في مفتاح النجا والبلخي في الينابيع ١٩٣ والعظيم آبادي الهندي في تجهيز الجيش مخطوط والنبهاني في الشرق المؤبد ٧٠٦ والأمر تسري في أرجح المطالب ومما روي عنه أن النبي ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ [الأحزاب: ٣٣].

(١) وممن رواه عنه ابن المغازلي في المناقب والحسكاني في شواهد التنزيل وابن الأثير في أسد الغابة ٣ : ٤١٣ والعسقلاني في الإصابة ٢ : ٤٧٩ .

(٢) وممن أخرج عنه ابن الحكم الجري في تنزيل الآيات ٢٤ مخطوط والحضرمي في وسيلة المآل .

(٣) وممن أخرجه عنه الحضرمي وابن المغازلي ومحمد القاري وابن موسى في المعتصر من المختصر والثعلبي في الكشف والبيان مخطوط والبيهقي في السنن الكبرى ٢ : ١٥٢ والطبري في ذخائر العقبى ٢٤ وابن كثير في التفسير والقسطلاني في المواهب ٧ : ٣ وابن بكر في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٧ والكركي في نفحات اللاهوت ٥٢ والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ : ٣١٢ والقندوزي في الينابيع ٢٢٩ والحمزاوي في مشارق الأنوار ١١٣ والساعاتي في بديع المنن ٢ : ٤٩٥ والهاشمي في أئمة الهدى ١٤٥ ، ومن حديثه بإخراج المغازلي ١١١ مخطوط والمناقب عن أبي عمار قال دخلت على وائلة بن الأسقع وعنده قوم يذكرون علياً فقال لي وائلة: ألا أخبرك لما رأيت عن رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى - قال: أتيت فاطمة عليها السلام فسألته عن علي عليه السلام فقالت: توجه إلى رسول الله ﷺ فجلت أنتظره في رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام معه فدخل معهم البيت فأدنى علياً وفاطمة فأجلس واحداً عن يمينه والآخر عن يساره ودعا الحسن والحسين فأجلس كل واحد منهما على فخذه ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ [الأحزاب: ٣٣] اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق .

(٤) وممن أخرجه عنه تسعة وسبعون من هؤلاء الحفاظ والمحدثين والمفسرين وسواهم .

(٥) وممن أخرجه عنه الحضرمي في القول الفصل ١٨٥ والثعلبي في الكشف والبيان .

(٦) وممن أخرجه عنه علي بن بكر في مجمع الزوائد في حديثه: صليت مع رسول الله ﷺ سبعة عشر شهراً فإذا أخرج من باب بيته أتى باب فاطمة فقال: الصلاة عليكم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ [الأحزاب: ٣٣] رواه الطبراني .

وصبيح^(١) وأبي سلمة^(٢) وجماعة آخرون من الصحابة^(٣) كلهم رووا أنها نزلت في الخمسة أو الأربعة، وفي أكثرها أنه ﷺ جمعهم وإياه تحت الكساء بعد نزولها - وفي بعضها قبل نزولها - ودعا لهم بما دعا .

والرواة عنهم يبلغون المئات في كتب الحديث والتفسير وسائر المصنفات^(٤) وقد يربو قاطع التواتر في حديث الطهارة حول آية التطهير كل

- (١) وممن أخرجه عنه العسقلاني في الإصابة ٢ : ١٦٩ والثعلبي في الكشف والبيان مخطوط وابن الأثير في أسد الغابة ٣ : ١١ في ترجمة صبيح بسنده إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن صبيح مولا أم سلمة عن جده صبيح قال : كنت بباب رسول الله ﷺ وساق حديث التطهير .
- (٢) وممن أخرجه عنه الترمذي في جامعه والحضرمي في سئلته والسهلاوي في وسيلة النجاة ٢٠٤ .
- (٣) ومنهم سعد بن أبي وقاص وسهل بن سعد وأبو هريرة وبريدة الأسلمي وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمر وعمران بن الحصين وسلمة بن الأكوع كلهم بمعنى واحد عن النبي ﷺ أخرج عنهم ابن عبد البر في الاستيعاب ٢ : ٤٦٠ والحضرمي في القول الفصل ١ : ٤٨ وبهجت افندي في تاريخ آل محمد ٤٢ والترمذي في صحيحه والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ : ١٩٠ والقندوزي في الينايع ١٥ والثعلبي في الكشف والبيان مخطوط والجنابذي الحنفي في معالم تنزيل النبوة مخطوط .
- (٤) ومن مصنفات إخواننا السنة التي تحوي حديث الكساء والتطهير مائة كتاب كمسند أبي داود بسنده عن أنس ٢ - ومسند ابن حنبل بأسانيد عن صحابين وصحابييات ٣ - وصحيح الترمذي ٤ - وخصائص النسائي ٥ - وتفسير الطبري عن خمسة عشر طريقاً إلى أبي سعيد وعائشة وأبي الديلم وأم سلمة وعمر وبن أبي سلمة وأنس وأبي الحمراء ووائلة ويونس ابن أبي إسحاق وأبي عمار ٦ - ومسند الرازي ٧ - ومعجم الطبراني ٨ - وأحكام القرآن للجصاص ٩ - ومستدرك الحاكم ١٠ - والأمالى للهاروني ١١ - وتاريخ جرجان السهمي ١٢ - والسنن الكبرى للبيهقي ١٣ - وتاريخ بغداد ١٤ - والاستيعاب للأندلسي ١٥ - وأسباب النزول للواحدي ١٦ - والفردوسي للدليمي ١٧ - ومصابي السنة للغوي ١٨ - والكشاف للزمخشري ١٩ - وأحكام القرآن للإشبيلي ٢٠ - والشقا للقاضي عياض ٢١ - والمناقب لموفق بن أحمد ٢٢ - وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣ - والتفسير الكبير للرازي ٢٤ - وجامع الأصول لابن الأثير ٢٥ - وكتب متعددة لابن بطريق ٢٦ - وأسد الغابة لابن الأثير ٢٧ - والتذكرة لابن الجوزي ٢٨ - وكفاية الطالب للكنجي ٢٩ - ومطالب السؤول لابن طلحة ٣٠ - وأحكام القرآن للقرطبي =

تواتر في أي حديث مهما اختلف النقل في نزولها في: أي من بيوت: فاطمة بنت النبي ﷺ؟ أو أم سلمة؟ أو عائشة؟ أو زينب؟ مما يدل على شرف

= ٣١ - وشرح المهذب للنووي - ٣٢ - وأنوار التنزيل للقاضي البيضاوي - ٣٣ - وذخائر العقبى لمحب الدين الطبري - ٣٤ - والمدارك للنسفي - ٣٥ - ومشكاة المصابيح للخطيب التبريزي - ٣٦ - وتفسير ابن كثير القرشي - ٣٧ - ومجمع الزوائد للهيتمي - ٣٨ - والفصول المهمة لابن صباغ - ٣٩ - والإصابة لابن حجر العسقلاني - ٤٠ - والكافي الشاف له - ٤١ - وفتح الباري له - ٤٢ - وتلخيص المستدرک للذهبي - ٤٣ - والحدائق الوردية لليمانى - ٤٤ - وتفسير النيسابوري - ٤٥ - وروضة الأحياء للدشتكي الشيرازي - ٤٦ - والدر المنثور للسيوطي - ٤٧ - والخصائص له - ٤٨ - والإتقان له - ٤٩ - والإكليل له - ٥٠ - والأبطال لابن روزبهان - ٥١ - وحيب السير لخواند مير - ٥٢ - والصواعق المحرقة لابن حجر - ٥٣ - ومناقب مرتضوي للترمذي الكشفي - ٥٤ - ومنتخب كنز العمال لعلي المتقي - ٥٥ - والسراج المنير لسراج الدين الخطيب - ٥٦ - والمناقب لابن النقيب - ٥٧ - والسعدية للغيثي - ٥٨ - وبخر المناقب للبلخي - ٥٩ - وشرح الفقه الكبير لعلي القاري - ٦٠ - وشرح الجامع الصغير للمناوي - ٦١ - وأرجح المطالب لشمس الدين - ٦٢ - والكافية لشرف الدين - ٦٣ - والسيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي - ٦٤ - ومدارج النبوة للدهلوي - ٦٥ - والمناقب للزرقاني - ٦٦ - والإتحاف لحب الأشراف للشراف للشبراوي - ٦٧ - وإسعاف الراغبين لمحمد الصبان - ٦٨ - والروض النضير للحميمي اليماني - ٦٩ - وفتح القدير للشوكاني - ٧٠ - وروح المعاني للألوسي - ٧١ - ونور الأبصار للشبلنجي - ٧٢ - وتشريف البشر للسيد صديق - ٧٢ - ومشارك الأنوار لحسن العدوي - ٧٤ - وكتاب الشرف المؤيد لآل محمد للنهاني - ٧٥ - ورشفة الصادق للحضرمي العلوي - ٧٦ - وأئمة الهدى للسيد عبد الغفار الأفغاني - ٧٧ - والسيوف المسلولة للتونسي الكافي - ٧٨ - والقول الفصل للحضرمي الجاوي ويذكر ثمانية عشر رجلاً من أعظم أرباب الكتب ونقل صحيح الحديث عن ستة عشر رجلاً من فطاحل المحدثين وعد خمسة عشر صحابياً ممن ينتهي إليه الحديث - ٧٩ - والوسيط للواحدى - ٨٠ - والجمع بين الصحيحين للحمدي - ٨١ - وأبو نعيم الأصبهاني في كتابه - ٨٢ - والجمع بين الصحاح الستة للعبدي - ٨٣ - وتلخيص المستدرک للذهبي - ٨٨ - ومصابيح السنة للغوي - ٨٩ - وتهذيب الأسماء واللغات للنووي - ٩٠ - والرياض النضرة لمحب الدين الطبري - ٩١ - وتاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبي - ٩٢ - والعقد الفريد للأندلسي - ٩٣ - والمقتل للخوارزمي - ٩٤ - والسيرة المحمدية للكارزوني - ٩٥ - ومشكل الآثار للطحاوي - ٩٦ - وشرف النبي - ٩٧ - وحسن الأسوة لصديق حسن خان - ٩٨ - وكتاب المرزباني - ٩٩ - والمستدرک للحاكم - ١٠٠ - وكفاية الطالب للكنجي وكتب أخرى.

الموقف لحد تتسابق في انتسابه نساء النبي ﷺ أو أن ذلك تكرر في هذه البيوت! ولأن لفظ عائشة «خرج غداة غد..» فعلها تعني إلى بيت فاطمة، كذلك وأم سلمة، اللهم إلا في البعض من حديثيهما!

وفي كتاب إدريس النبي ﷺ تأييد أكيد لشرف بيت الرسالة المحمدية كما تعنيه آية التطهير وحديث الكساء والتطهير، كما في الأصل السرياني «پارقليطا إيليا طيطه شبر شبير: محمد - علي - فاطمة - حسن - حسين - هليلوه لث شوق مني محمد انوي داله»: هليلوني فإنه لا إله إلا أنا ومحمد رسولي «إني لهويوه انا لبرين وارخ الشماي ولا ال ارعا ولا البردس ولا الكيهن ولا الشمس ولا السعر»: لولاهم لما خلقتك «يا آدم» ولا السماء ولا الأرض ولا الجنة ولا النار ولا الشمس ولا القمر^(١)!

ومن بالغ اهتمام الرسول ﷺ بشأن أهل بيته المطهرين ﷺ أنه كان يتلو آية التطهير عند صلاة الفجر أو عند كل صلاة على بيت علي وفاطمة حسب مختلف الإحصاء من شهر^(٢) إلى أربعين يوماً^(٣) إلى ستة أشهر^(٤) إلى سبعة^(٥).

- (١) راجع كتابنا رسول الإسلام في الكتب السماوية ص ١٣١.
- (٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في المسند ٨: ٢٧٤ قال: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس عن النبي ﷺ أنه كان يمر على باب فاطمة شهراً قبل صلاة الصبح ويقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ [الأحزاب: ٣٣] وأخرجه ابن حنبل عن عائشة.
- (٣) أخرجه ابن مردويه وموفق بن أحمد وجماعة آخرون عن أبي سعيد الخدري وسالم بن أبي حفصة عن أبي الحمراء.
- (٤) أخرجه الطبراني وأبو داود ومالك بن أنس والترمذي عن أبي الحمراء، ومعقل بن يسار وأم سلمة، الحمراء الحسكاني في أنس ٢: ١١ - ٩١ ورواه جماعة عن عفان ورواه عنه عبد الحميد في تفسيره وتابعه جماعة عن حماد منهم إبراهيم السامي، ورواه أيضاً الأسود بن عامر - شاذان وحجاج بن منهال وعبيد الله محمد العباس عن حجاج وعن البغوي ورواه موسى بن إسماعيل التبوذكي.
- (٥) أخرجه محمد رضي المالكي عن أبي الحمراء.

أو ثمانية (١) أو تسعة (٢) أو عشرة (٣) أو سنة (٤) أو سبعة عشر شهراً (٥) أو منذ نزولها حتى ارتحاله إلى جوار رحمة ربه (٦) تدليلاً على اختصاصها بأضرابهما من أهل بيت الرسالة، ولكيلا ينسأهم المسلمون أو يتناسوهم، استمراراً في احترامهم دون احترام، ولكنهم اضطهدوا ما لا يخلد بخلد ويكأنه ﷺ أوصى باضطهادهم وأكد!

ولقد نرى الاحتجاج بآية التطهير للإمام علي عليه السلام وسائر أهل البيت عليه السلام في مختلف الحقول، كضرورة لا مرد لها فيتسلمها المحجوجون كلهم بكل قبول دونما ريبة ونكول!

ولولا هذه الأحاديث لم تكن الآية لتشمل غير أهلها لمكان «إنما» الحاصرة لتلك الطهارة بأهل البيت عليه السلام و﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾ تعني إرادة لدنية

- (١) أخرجه ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء وعن أبي سعيد الخدري ورواه الحاكم عن ابن شاهين عن الأشعث وعن السبعي في تفسيره .
- (٢) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس (الدر المنثور ٥ : ١٩٩) والثعلبي عن أبي الحمراء وموفق ابن أحمد عن أبي سعيد الخدري .
- (٣) أخرجه محمد بن عمران المرزباني بسنده إلى أبي الحمراء فقال : قدمت رسول الله ﷺ نحواً من تسعة أشهر أو عشرة فرأيت . . . وفي ينابيع المودة ٢٦٠ ويروى هذا الخبر بأسانيد عن الثلاثمائة من أصحابه منهم من قال : ثمانية أشهر ومنهم من قال عشرة أشهر أقول هذا الخبر يشير إلى خبر مروره على بيت فاطمة عليها السلام .
- (٤) أخرجه جماعة .
- (٥) في ملحقات إحقاق الحق ١٤ : ٨٠ أخرجه الطبري بسند عن أبي الحمراء والحافظ نور الدين علي بن أبي بكر عن أبي برزة .
- (٦) أخرجه ابن أبي شيبه وأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول : الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ . . . ﴿الأحزاب: ٣٣﴾ أقول : ظاهر (كان) استمرارية مقالته ﷺ تلك منذ نزول الآية حتى ارتحاله وعن داود السبعي عن أبي الحمراء مثله ورواه جماعة عن أبي عاصم النبيل وأخرجه عنه عبد بن حميد في تفسيره ويعقوب بن سفيان ويونس بن أبي إسحاق السبعي .

مستمرة مدى حياة العصمة القمة لهم مهما اختلفت درجاتها قبل النبوة والإمامة وبعدها، واختلفت طولهما حيث التكامل لا يستثنيهما!

أترى أنها إرادة تشريعية في النفي والإثبات «ليذهب ويطهر»؟ وهي تعم المكلفين أجمعين! أم تكوينية؟ فكذلك الأمر حيث التوفيق لمن سلك سبيل الهدى وترك الردى موعود لهم من الله! ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ (١) أم تخص تكوين العصمة القمة في بُعدي السلب والإيجاب؟ وليس محطُّ الإرادة هذه يمتاز على مَنْ سواه، حيث الإرادة من الله، فالعصمة. إذاً - هي فقط من فعل الله!

إنه إرادة العصمة تكوينية بين الأمرين، عصمة بشرية كأفضل ما يستطيع، وليست بالتي تعصم صاحبها عصمة مطلقة، حيث الطاقة البشرية ليست مطلقة، بل هي مقدرة بقدرها وقدراتها، ثم عصمة إلهية تُكفيها فتجعلها مطلقة في الدرجة التي يعينها دونما فوضى، وإنما بحساب ومقدار، وكل شيء عنده بمقدار.

إن الرسالة الختمية تتطلب خاتمة العصمة القمة، محاولة بشرية كأفضل ما تكون وأعضله تتوسط إرادة الهية من قبل ومن بعد، فمن قبل قدر أهل بيت العصمة المحمدية في أصلاب شامخة وأرحام مطهرة، لم تنجسهم الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسهم من مدلهمات ثيابها، تقديراً لظرف لائق فائق تتمكن فيه كافة المجالات لأفضل المحاولات البشرية لإعداد العصمة القمة.

ثم حاولوا كأفضل ما يمكن وأعضله تطهيراً لأنفسهم الزاكية لمدى اللياقة واللباقة لإرادة العصمة العليا، فعصمهم الله تعالى بما قدر وحاولوا، بما أراد وأرادوا!

(١) سورة محمد، الآية: ١٧.

ف ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ تشمل مثلث أحوالهم بما في أوسطه من محاولة بشرية بتوفيق الله، إرادة دائبة منذ فُطموا، حتى ارتحالهم إلى جوار رحمته تعالى، مهما اختلفت درجاتها بظروفها.

تلك الإرادة القاطعة الإلهية لزامهم منذ كانوا، تعصمهم عن كل رجس وتطهرهم تطهيراً، فما هو الرجس وما هي الطهارة؟

الرجس لغوياً هو كل قدر مادي أو معنوي، ما يستقذره الإنسان مادياً أياً كان، أو معنوياً أياً كان، فهو أعم من النجس إذ يخص القدر المادي، كما ويوصف به الرجس «أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم».

ولأن الأقدار الجسمانية هي لزام كل إنسان مهما يومر بالتجنب عنها من أحداث وأخبار، فإذاها بها يخص جماعة خصوصاً فلا تعنيها الإرادة الإلهية الخاصة بأهل بيت الرسالة المحمدية، كما وأن الرجس في القرآن لا يعني القذارة المادية في سائر آياته، وإنما مرض القلب: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١) وعمل الشيطان: ﴿إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾...^(٢) واتباع الشيطان: ﴿فَاعْرِضْهُمُ إِتِّمُّ رِجْسٌ وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣) ومعبوداتهم: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾^(٤) وختم القلب على الذين لا يعقلون: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٥) وكذلك كل أكلة تحوّل الإنسان إلى حيوان كـ ﴿لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾^(٦) وقبله الميتة والدم المسفوح لم يشملهما الرجس مع أنهما من

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٥. (٢) سورة المائدة، الآية: ٩٠.
 (٣) سورة التوبة، الآية: ٩٥. (٤) سورة الحج، الآية: ٣٠.
 (٥) سورة يونس، الآية: ١٠٠. (٦) سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.

النجس، وكالعذاب على الرجس فإنه رجس على رجس: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَظْبٌ﴾ (١) ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢)!

هذه جماع الآيات التي تضم الرجس كلها تعني الرجاسة المعنوية، وهي هي التي تُرجس الإنسان وتخرجه عن العقلية والإيمان ورحمة الرحمن! ولأن مرض القلب وعمل الشيطان واتباعه دركات يشملها الرجس، فذهابه أيضاً درجات يشملها إذهاب الرجس، والجنس المحلى باللام يستأصل نفسه في نفيه.

إذا فجنس الرجس أياً كان بعيد عنهم وعن ساحتهم من رجس الفطرة والعقلية والفكرة والصدر والقلب والنية والعمل «وكل إنسان يعمل على شاكلته» لا غبرة على أرواحهم، وإنما نور على نور، لا ينقصهم إلا أنهم مخلوقون، ثم الفقر إلى ربهم فخرهم.

كل قلب يتقلب إلى غير الله إلا تذرماً أو تضرعاً إلى الله، فيه رجس قدر اتجاهه إلى غير الله، وكل اتجاه في أدق منحنيات الحياة ومتجهاتها إلى غير الله رجس، والتمتدلي بالله دونما إبقاءً لغير الله خارج عن كل رجس، وهكذا: ﴿بُرِيدُ اللَّهِ لِيَذْهَبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ﴾ . . . !

أترى بعد أن إذهاب الرجس عنهم هو رفعه عن ساحتهم بعد كونه؟ ولا يذهب رجساً هكذا إلا بتوبة أم أي تكفير يناسبه! وهذا يعم سائر أهل الرجس دون اختصاص! وهذا من فعل صاحب الرجس أن يذهب رجسه بتوبته! والعصمة لا تحل محل الوصمة! اللهم إلا في أدنى أدانيها بمعصية صغيرة بعد توبة كآدم: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (١٢٢) . (٣)

(١) سورة الأعراف، الآية: ٧١. (٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة طه، الآيتان: ١٢١، ١٢٢.

إنه إذهاب لكل رجس بدفعه عنهم حين يعتر بهم أو يهاجم عليهم ببواعثه، تسديداً لهم بما حاولوا وانتجبههم الله - عن كل رجس، شكاً في قلب، أو جهلاً بواجب الشرعة أو المعرفة، أو خطأً في فكر، أو زلقاً في فعل، في عصمة عليا بمثلثها: تلقياً للوحي - وإلقاءً له - وتطبيقاً إياه.

هنالك محاولات بشرية لإذهاب الرجس عن أنفسهم رفعاً أو دفعاً، وليست لتكفي استئصالاً لكل رجس، وأهلها مخلصون!

وهنا إرادة دائبة إلهية تكفي محاولات قمة من أخلص المخلصين، فتستأصل عنهم كل رجس وأهلها مخلصون، وهكذا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وكما ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ يجتث في نفي الجنس كل رجس، كذلك ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ يختص بإثبات كل طهارة، فالسلب مطلق كما الإيجاب، والإيجاب مطلق كما السلب، تخلية عن كل نقص إلا أنهم مخلوقون، وتحلية بكل كمال دون أنهم ليسوا بخالقين، فقد يصدق فيهم ما يقال عنهم «نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم»:

زاحمدا تا أحد يك ميم فرقست همه عالم در آن يك ميم غرقست.
هنا طهارة متصلة بهم، متعرقة فيهم، متزرعة في قلوبهم، هي العصمة الضافية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾! تكوينية وتشريعية فواجب الحفاظ على الشرعة تشريعاً فيهم، يوازي واجب العصمة الموهبة لهم تكويناً، عصمة بشرية تتصل بها وتحل فيها عصمة إلهية دونما فوضى جزاف، فكل درجة من العصمة الإلهية تتطلب كظرف لها عصمة بشرية تقتضيها، فـ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ إرادة تشريعية ما لم يُردها من أحد العالمين، إرادتان منحصرتان لهم وفيهم، منحصرتان عن سواهم، فلا يُطلب من أهالي سائر البيوت الرسالية ما يُطلب من أهل بيت الرسالة المحمدية ﷺ من مدارج التقوى والعبودية والاجتهاد

الاضطهاد في سبيل الله، وكما يروى عنه «ما أوذى نبي مثل ما أوذيت» وقال عنه ربه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ﴾^(١) فلو لم يكن هو أول العابدين على ضوء الرعاية القمة للشرعة لم يكن أول المعصومين في إرادة تكوينية.

وهناك طهارة منفصلة عنهم، وهي للمتصلين بهم، المنسوبين إليهم، يريدنا الله منهم للحفاظ على محتد الطهارة لأهل بيت النبوة الأصول، فطهارة نساء النبي وأقربائه وأنسابه لها تأثير منفصل في طهارته عند الناس، وليس الله ليريد الطهارة لأهل بيت الطهارة أنفسهم ثم يهمل طهارتهم عند الناس، فليكونوا وجهاً عند الله ليصلحوا دعاء إلى الله، ووجهاء عند الناس ليتجه بهم الناس إلى الله.

لذلك تحل آية التطهير محلات نساء النبي ﷺ لتحمل تطهيرهن إلى تطهيرهم، ولذلك نرى في الأكثرية المطلقة من روايات التطهير ليس الرسول ﷺ ليرضى دخول مثل أم سملة الطاهرة في أهل البيت المعنيين بآية التطهير، اللهم إلا شذراً بقوله: «إن شاء الله» أنها قد تدخل في أهل البيت دخولاً منفصلاً إذا أصلحت وقتت لله ورسوله، فطهرت أهل هذا البيت وجاء الناس بعد طهارتهم عند:

﴿وَأذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (٣٤) **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَاللَّكِيظِينَ وَاللَّكِيظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴿٣٥﴾

﴿وَأذْكُرَنَّ﴾ أنتن نساء النبي، القاطنات في بيت الوحي والتنزيل

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨١.